حرب الانتخاب

شهد القطر المصري شيئاً من السجال في كل انتخاب لمجلس شورى القوانين والجمعية التشريعية. وسيشهد سجالاً اشد منهُ او حرباً عواناً في الانتخاب المقبل لمجلس النواب الذي يراد انشاؤهُ لان في القطر الان حزبين كبيرين متناظرين. فرأينا ان نصف ما يجري في بعض البلدان الدستورية وقت الانتخاب العام لمجلس النواب واخترنا الولايات المتحدة الاميركية واعتمدنا على الوصف الذي اثبتهُ المستر مورجنثو (Morgenthau) الذي كان سفيراً للولايات المتحدة في الاستانة مقتطفين ذلك من مقالة لهُ في مجلة « عمل العالم » الاميركية الصادرة في دسمبر الماضي. وسنبقي كلامهُ بصيغة المتكلم مع اكتفائنا بالقليل منهُ. وقد علقنا عليهِ بعض الحواشي لزيادة الايضاح

قال استأذنتُ حكومتي في يناير سنة ١٩١٦ لازور بلادي بعد ان فارقتها منذ اكثر من سنتين لانني كنتُ قد تعبتُ جدّ التعب من اهتمامي بدفع القضاء عن الارمن واليهود ومما شاهدتهُ من دسائس الالمان في الاستانة كما يظهر من الاطلاع على كتابي الذي نشرتهُ سنة ١٩١٨ المعنون بقصة السفير مورجنثو

فقضيت الايام الاولى بعد وصولي الى اميركا في وشنطون مع اصدقائي السياسيين فساءني ما رأيتهُ هناك وهو ان كل الذين في المناصب العالية كانوا يشيرون من اعادة انتخاب الرئيس ولسن لان فريقي الحزب الجمهوري كانا قد اتحدا (١) وصحت عزيمتهما على الفوز في الانتخاب الآتي الذي يقع في الخريف. وكانت الحكومة في عهد الرئيس ولسن قد اقامت لها اعداء كثيرين ولاسيما في نيويورك ولذلك كان فوز حزبنا بعيد الاحتمال لاسيما وان رجالنا اهملوا زعماءهم فصدئت آلات الانتخاب او تكسرت وتفرّق الشمل. ولما رأيتُ هذا القنوط قلت لهم ان ابقاء الرئيس ولسن في الرآسة امرٌ لا بد منهُ لسلامة البلاد لانهُ اذا

(١) الرئيس ولسن والسفير مورجنثو من الحزب الديموقراطي فاذا كانت الاكثرية من هذا الحزب بقيت الرآسة للرئيس ولسن. وكان روزفلت قد انشق عن الحزب الجمهوري وتبعه فريق كبير منه فشل في الانتخاب السابق بسبب انشقاق الحزب الجمهوري

وقع الانتخاب على غيره فالرئيس الذي يقع الانتخاب عليه لا يستلم الرآسة الاَّ بعد اربعة اشهر فلا يستطيع ان يعمل شيئاً في غضونها. والرئيس ولسن تشلُّ يدهُ عن العمل في غضون هذه المدة لانهُ يرى ان الرآسة آلت الى غيره. والحرب مستمرة في اوربا ويهمنا جدًّا دفع شرها عنا وحفظ مصالحنا الدولية. ولما قلت لهم ذلك رأوا وجه الصواب فيهِ وقال بعضهم انهُ لو خطرلنا هذا الخاطر لما تهاملنا في اعداد عدتنا للانتخاب المقبل. ولما رأى الوزراء اني مصيب واقفوني على بذل كل المساعي الممكنة لاعادة انتخاب الرئيس ولسن. الاَّ ان المنوط بهِ ادارة حرب الانتخاب من اعضاء الجمعية الوطنية قال لي ان ليس لديهِ المال اللازم لهذا العمل ولا يعلم ممن يطلب هذا المال وان كثيرين من اعضاء الجمعية يئسوا من الفوز وغرضهم الآن البقاء في مناصب الحكومة الى ان يستلم الحزب الجمهوري مقاليدها فيتركوها ويعودوا الى اعمالهم السابقة. فقلت لهُ وما هو اقل مبلغ نحتاج اليهِ لهذه الحرب حتى تكون الاكثرية من حزبنا. فذكر مبلغاً معتدلاً وقال انهُ يستحيل عليهِ جمعهُ الآن. فاكتتبت انا بهِ كلهِ وللحال شرع في العمل واقتدى بهِ مآت من رجال حزبنا

وعدتُ الى نيويورك واستأجرت مكاناً صالحاً للاجتماع وابتعتُ ما يلزم من الاثاث وآلات الكتابة حتى اذا جاء وقت الانتخاب تكون على تمام الاستعداد لهُ

اشرتُ سابقاً الى الاسباب السلبية التي كانت تمنع نجاح حزبنا في الانتخاب المقبل وكان هناك اسباب اخرى ايجابية منها العزم على تعيين المستر جنصن مديراً للبريد في مدينة نيويورك. فان تعيينهُ لهذا المنصب يغيظ افضل رجال حزبنا في نيويورك فتخسر نيويورك كلها في الانتخاب المقبل وتخسر معاضدة جريدة الورلد وهي اكبر نصرائنا. ولذلك عدتُ الى وشنطون وقابلتُ الرئيس ولسن وبسطت لهُ واقعة الحال. ولما رأيتهُ قليل الاهتمام بالامر قصدت ان انهض همتهُ فقلت لهُ ان تعيين جنصن في هذا المنصب يبعد عنا مئتي محافظ نيويورك فابتدرني بقولهِ انهُ لا ترجى من مئتي فائدة على كل حال. ثم قال لقد سئم السيف العذل فان مدير البريد العام اشار بتعيين جنصن وقد صار تعيينهُ مرآ مقضيًّا وكُتب الامر بتعيينهِ وهو امري الآن وليس عليَّ الاَّ توقيعه

فذهبت وقابلت مدير البريد العام وحادثتهُ في الامر فرأيتهُ مصرًّا على تعيين

جنصن وطلب مني ان اكتب الى الرئيس مستحسناً تعيينهُ فقلت لهُ انني لا افعل ذلك ولا اوافق على هذا التعيين وسترى اينا يفلح. وعدت الى الرئيس وقلتُ لهُ ان تعيين جنصن مديراً للبريد في نيويورك يشيط جريدة الورلد وهي ضرورية لنا جدًّا وقت الانتخابات. فقال هل مرادك ان تقول ان تعيين جنصن مديراً للبريد يخسرنا نيويورك في الانتخاب

وكنت اعرف اخلاقهُ وانني اذا قلت لهُ نعم تحرَّك فيهِ الدم الاسكتلندي الارلندي وقال ان خسرناها فلا اسفاً عليها. وهو مغرم بلعبة الغلف (Golf) فاخذت مثلاً منها وقلت لهُ ليس هذا مرادي بل اني اعني اننا اذا وضعنا حفرة كبيرة في طريقنا (كما يحدث في الغلف) لزمنا مهارة فائقة لتخطيها. فسرَّ بهذا التمثيل وقال لي من تختار اذاً لهذا المنصب. فقلتُ انني لم آتِ لتعيين شخص معلوم بل لمنع تعيين هذا الرجل. فوافقني على عدم تعيينهِ

وزارني جنصن بعد ذلك في نيويورك وقال لي سمعتُ اشاعة وارجو ان لا تكون صحيحة وهي انك من الساعين في منع تعييني مديراً للبريد في نيويورك. فقلتُ لهُ كلاَّ لستُ من الساعين بل انا الساعي الوحيد الذي سعى في منع تعيينك واؤكد لك انني سأمنعهُ اذا استطعتُ لا لانني اكرهك ولا لانني احسب انك غير كفوء لهذا المنصب بل لسبب سياسي اهم جدًّا من وظيفة مدير البريد. فقال اني اشكرك على هذه الصراحة ولكنك ظلمتني

ومن الاسباب الايجابية ان الرئيس ولسن كان قد عيَّن لويس برانديس قاضياً في المجلس الاعلى فاعترض مجلس الشيوخ على ذلك وخيف ان يرفض هذا التعيين فتضعف سلطة الرئيس في اميركا وفي اوربا ايضاً لان اوربا كانت تنتظر اليهِ كممثل رأي اميركا فيتعذر عليهِ التوسط في ابطال الحرب. وقد همَّهُ هذا الامر جدًّا وطلب مني ان اساعدهُ على جعل مجلس الشيوخ (١) يقبل تعيين برانديس واخبرني ان رئيس الحزب المعارض لهُ في ذلك هو السناتور سمث نائب ولاية جورجيا. فقمت وناديت هذا السناتور بالتلفون وطلبت مقابلتهُ فاجابني انهُ مشغول جدًّا بمسئلة قانونية ولا يستطيع ان يعطيني الاَّ نصف ساعة عصر ذلك اليوم. فقلت لهُ ذلك حسبي واتيتهُ في الميعاد فاقام معي ثلاث ساعات متوالية. ولم افاتحهُ في امر سمث

(١) مجلس شيوخ بالانكليزية (Senate) ولذلك يلقب كل عضو من اعضائه (Senator)

بل في امر رجل آخر متّهم بجريمة اعتقد انهُ بريء منها وقلت لهُ انهُ طُلب مني ان التي خطبة في هذا الموضوع وانا آت لاستشيرهُ. فاشار عليّ ان لا افعل وجرّنا الحديث الى ذكر القاضي براندس فذكّر لي ما عندهم من الاعتراضات عليهِ. وللحال جعلت اصف لهُ مقدار الضرر الذي يلحق بنا اذا اضعفت سلطة الرئيس ولسن لاسيما وان اوربا تنظر اليهِ كأنهُ ممثل الشعب الاميركي كلهِ وان في يدهِ انهاء الحرب. فاخذ يشكو لي من ان الرئيس لا يستشير اعضاء مجلس الشيوخ في الامور التي يجب ان يستشيرهم فيها. وبعد مذاكرة ثلاث ساعات وعدتهُ بان اكلم الرئيس في هذا الموضوع ليزيل كل اسباب الشكوى ووعدني هو بالموافقة على تعيين القاضي براندس

ويلي ذلك كلام طويل مفادهُ انهُ انجز ما وعد بهِ وجمع شمل الحزب الديموقراطي واعدّهُ للحرب الانتخابية ثم قال ما خلاصتهُ

جعلتُ همي هذه النوبة القسم المالي من الحرب الانتخابية كما جعلتهُ سنة ١٩١٢ وتطوّع اثنان من حزبنا لمساعدتي وكان همنا جمع المال اللازم للانتخاب من اعضاء حزبنا ذوي الثروة فاعطانا بعضهم مبلغاً كبيراً مثل دُهني المثري الكبير فانهُ اعطانا خمسين الف ريال ولكنهُ استردها واستردَّ فوقها مائتين وخمسين الف ريال من المراهنة على فوز ولسن. واكرم الذين تبرعوا بالمال للانتخاب رجل كان قد وفّر من نفقاتهِ نحو الف ريال في الاشهر الستة السابقة فاعطانا اياها كلها

ومن اغرب ما لقيناهُ في هذا الباب ما قطهُ معنا هنري فورد (صاحب اتوموبيلات فورد) فانا قصدنا ان ننشر دعوتنا في الجرائد وهذا النشر يقتضي نفقات كبيرة. وظن البعض ان المستر فورد يدفع هذه النفقات لشدة رغبتهِ في السلم وابطال الحرب ولشدة ميلهِ الى الرئيس ولسن لانهُ ساعٍ في الصلح. فذاكرناهُ في هذا الموضوع وتم الاتفاق على ان يتناول الغداء مع مكرملك وتوماس اديسن (المخترع الشهير) وجوزف دانيالس وزير البحرية في منزل مكرملك. والاربعة مشهورون بالاعتدال وحب العمل وعدم شرب المسكرات. فتغدوا وقاموا بعد الغداء يتبارون في ثمن منهم يستطيع ان يلبط الحائط برجلهِ وتصل قدمهُ الى اعلى نمّا تصل اليهِ اقدام رفاقهِ كأنهم اولاد في مدرسة. وخوفاً من ان تخونني ذاكرتي طلبت من مكرملك ان يكتب اليّ واصفاً ذلك الاجتماع فكتب اليّ ما يأتي قال —

« عزيزي ألم هنري

«ان ما تتذكرهُ عمَّا جرى في الغداء صحيح بالاجمال فقد تغدينا في غرفتي وكان على مائدة الغداء فورد واديصن والوزير دانيالس ودار الحديث وقت الاكل على ما هو الطعام الاصلح للانسان حتى يستطيع ان يعمل اكثر ما يكون من العمل وتطول حياتهُ .فقال اديصن ان اكثر طعامهِ من الخبز واللبن السخن. وداوت المناظرة في هذا الموضوع وكان اكثر الحديث بين اديصن وفورد وكلٌ منهما يفضل الطعام الذي يقتصر عليهِ .واخيراً اتفقا على التباري في القوة ليظهر اي طعام اصلح. وقال فورد على ما اتذكر انهُ يثب ويلبط الحائط في مكان اعلى مما تصل اليهِ لبطة اديصن ولما قمنا عن المائدة احتدمت المباراة في الوثب واللبط بينهما وكان الفوز لفورد ولكن لبطة اديصن كانت قريبة من لبطتهِ والفرق بينهما طفيف » انتهى

الاَّ ان هذا الهزل من فورد تقلَّص ظلهُ لما اتت المسئلة المالية فانهُ اعترض على كل دليل ذُكر لوجوب دفع المال لغرض سياسي. وحجتهُ الكبرى ما بلغهُ من ان الاموال لا تنفق في محلها وخاف ان تنفق الاموال التي يدفعها في غير ما دفعها لهُ . وقال ذلك واصرَّ على قولهِ. فقيل لهُ ان اجرة النشر في الجرائد ممروقة ويؤخذ بها مستندات من اصحاب الجرائد وكل ما يصرف يقيَّد بالضبط التام.اما هو فبقي متشبثاً برأيهِ متصلباً فيهِ . ولما عجز مكرمك ودانيالس عن اقناعهِ اتياني بهِ الى مركز الحزب الديمقراطي وتركاهُ لرحتي كما قالا لي. فوجدت بعد البحث المدقق معهُ انهُ لا يمتنع عن دفع المال على شرط ان تعلن عنهُ وعن اتوموبيلاتهِ وان الاعلان الذي ننشرهُ عن الانتخاب يجب ان يعبّر عن رأيهِ وان يكون موقَّعاً بامضائهِ ويجب ان تمكنهُ من مقابلة الرئيس ولسن لكي يبسط لهُ رأيهُ في استخدام النساء في معملهِ واعطائهنَّ اجوراً مثل اجور الرجال ويودّ ان يظهر كان الرئيس هو الذي اشار عليهِ بذلك .فاتضح لي انهُ كان يطلب الشهرة لا غير فقبلنا كل الشروط التي اشترطها ولكنهُ لم يدفع الاَّ مبلغاً زهيداً لا يقابل بثروتهِ الطائلة

ولما حسبت اننا تغلَّبنا على كل ما قام في وجهنا من المصاعب وتحقق الفوز لنا دعوتُ اصدقائي للعشاء ليلة الانتخاب في السادس من نوفمبر ودبَّرت التدابير اللازمة لتصل الينا نتائج الانتخاب من كل ولاية ونحن على المائدة .وقضينا الوقت

بالهزل والضحك رجالاً ونساء لاننا كنا واثقين بالظفر وبان حزبنا سيترأس في منصة الاحكام اربع سنوات اخرى . ودامت الحال على مثل ذلك الى الساعة الثامنة مساء وحينئذٍ جعلت اخبار الاندحار ترد علينا فاستطفي ايدينا ثم استحال قلقنا الى قنوط حينما بلغنا ان جريدة نيويورك تيمس وجريدة الورلد اعلنتا بالنور ان الفوز للحزب الجمهوري وكانت مسز مكادو بهجة ذلك الاجتماع فاعتراها الوجوم هي وزوجها(١) وقاما وانصرفا . ومضينا نحن الى مركز حزبنا وكانت الاخبار المقلقة ترد تباعاً من بعض الولايات ولاسيما من كليفورنيا فاستدعينا المدعي العمومي وطلبنا منهُ ان يأمر المدعي في بوستن لكي يراقب الانتخاب بنفسهِ خوفاً من الغش

وكان مخبرو الجرائد يترددون بيننا وبين مركز الحزب الجمهوري وعرفنا منهم ان بعض الاغنياء من الحزب الجمهوري اجتمعوا ليجمعوا مبالغ طائلة من المال يشترون بها الاصوات في الولايات الغربية فارسلنا اليهم بلاغاً نهائياً مع المخبرين اننا نبهنا رجال الحكومة في كل الولايات التي نشك فيها حتى يراقبوا الانتخاب وانهُ اذا استخدموا الاموال التي جمعوها في سبيل غير مشروع فلا يصبح الصباح حتى يروا انفسهم في السجن . وكانت النتيجة انهم لم يستعملوا الاموال في رشوة الناخبين . ثم وجهنا همتنا الى كليفورنيا وتمكنا من اخذ خط من خطوط التلغراف الى مركز حزبنا في سان فرنسسكو واتصلنا بمدير الحزب هناك المستر مكناب وجعلنا مدير الانتخاب بواسطتهِ ونراقب عليهِ فطلب منا ٢٥٠٠٠ ريال(٢) وكان معنا رجل غني من اهالي نيويورك فقال قولوا للمستر مكناب ان يطلب هذا المبلغ من عمي باسمي وهو من اصحاب البنوك الكبيرة في كليفورنيا ففعل وتناول المال المطلوب . ودامت الحال على مثال ذلك ونحن ندير دفة الانتخاب الى الساعة السادسة صباحاً وذهبنا الى بيوتنا حينئذٍ وغسلنا وجوهنا وافطرنا وعدنا الى مركز الحزب واستأنفنا العمل النهار كلهُ الى منتصف الليل التالي . فكانت النتيجة ان زاد عدد المنتخبين من حزبنا على عدد المنتخبين من الحزب الجمهوري وبقيت الرآسة للرئيس ولسن فقاد اميركا الى الحرب والظفر

(١) كان W. G. Mc. Adoo وزير المالية في وزارة ولسن (٢) يظهر ان اكثر ما يستعمل له المال في الانتخاب هو النشر في الجرائد

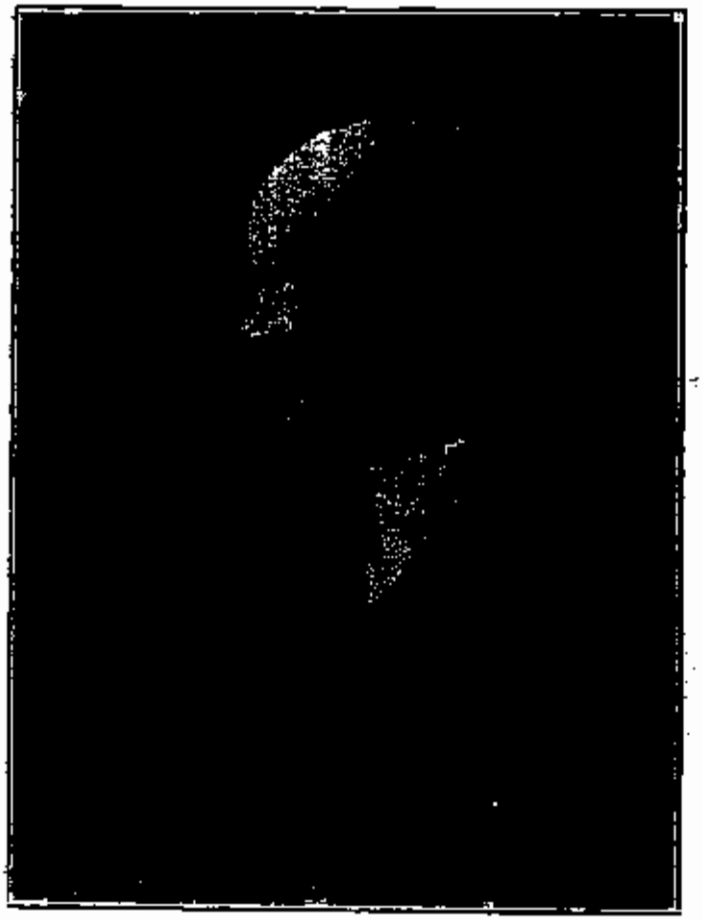

الدكتور غرام

مقتطف ابريل ١٩٢٢
امام الصفحة ٣٧٧